



# International Journal of Advanced Academic Studies

E-ISSN: 2706-8927

P-ISSN: 2706-8919

[www.allstudyjournal.com](http://www.allstudyjournal.com)

IJAAS 2020; 2(2): 251-257

Received: 17-02-2020

Accepted: 20-03-2020

محقق: دكتور نهى محمد جميل الأفغاني  
أستاذة محاضرة في قسم اللغة العربية  
كلية الآداب بجامعة الشهيد الأستاد رباني  
للتربية والتعليم - كابل

## جماليات المكان في نثر لسان الدين الخطيب كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب نموذجا

محقق: دكتور نهى محمد جميل الأفغاني

### چكیده

تتناول هذه المقالة جماليات المكان في كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب لصاحبه لسان الدين بن الخطيب، وقد اشتملت هذه المقالة على التعريف بالمؤلف، والكتاب، وأهمية الكتاب ومن ثم انتقل إلى الموضوع الأساسي وهو جماليات المكان في الكتاب، وقد قسمته إلى ثلاثة أقسام وهي الطبيعة والمنشآت والأضرحة، وقد تناولت في قسم الطبيعة أهم المعالم الطبيعية في الكتاب مثل جبل هنتاتة ومدينة أغمات ومدينة مراكش وغيرها، أما الأضرحة فقد تناولت فيها الأضرحة التي جاء ذكرها ووضعها في الكتاب مثل ضريح السلطان أبو الحسن علي بن عثمان، وضريح المعتمد بن عباد، وأما المنشآت فقد تناولت فيه أهم المنشآت التي وصفها الكتاب من مثل المساجد والمدارس والمستشفيات مع الوقوف على جماليات المكان البلاغية واللغوية.

كلمات مفتاحية: أدب الرحلات، جماليات، المكان، لسان الدين بن الخطيب.

### مقدمه

إن المكان هو الركيزة الأساسية في أدب الرحلات، وقد تفنن أدباؤنا وشعراؤنا السابقون في وصف الأمكنة التي زاروها بلغة شعرية ذات بلاغية عالية تستحق الوقوف عليها وتناولها دراسيا، ومن هذه الكتب التي امتازت بتناول الأماكن جماليا كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب للشاعر والوزير والأديب لسان الدين بن الخطيب وذلك في كل من جزئيه الثاني والثالث وهما الجزءان اللذان تم تحقيقهما وطبعهما، وهو الكتاب الذي يُعد واحدا من أهم كتب لسان الدين بن الخطيب الذي تناول فيه رحلاته إلى المغرب ولذلك فهو يعد من كتب أدب الرحلات، ولعل الركيزة الأهم في أدب الرحلات هو الجماليات البلاغية المكانية في كتاب نفاضة الجراب واستخراج ما فيها من جماليات بلاغية نثرية امتاز بها أدب الخطيب عامة وهذا الكتاب خاصة وهي الأمور التي ستتناولها هذه المقالة.

### أهمية الموضوع

إن أهمية هذا الموضوع تنبع من الإضافة البلاغية والأدبية الناتجة عن دراسة والاطلاع على التراث الأدبي اللغوي العربي القديم، وهو التراث الذي كان وما يزال محط اهتمام المتخصصين بالأدب العربي، لذلك فإن الاطلاع على أدب لسان الدين بن الخطيب لا سيما نثره الأدبي هو محطة مهمة لدراسي الأدب العربي، فلسان الدين هو واحد من أهم أدباء الأندلس شعرا ونثرا، ولعل ذعره حظي بدراسات واسعة أما نثره فما زال يحتاج لمن يسلط الضوء عليه عن طريق إعادة قراءته وتحليله وتقديمه للمهتمين بالأدب العربي، إضافة للفائدة الجغرافية والتاريخية التي قدمتها كتبه ومنها كتاب نفاضة الجراب، فهو يغطي مناطق واسعة من المغرب العربي ومرحلة هامة من مراحل التاريخ العربي في الأندلس والمغرب العربي.

### أهداف المقالة

1. التعريف بلسان الدين بن الخطيب ومكانته الأدبية والعلمية.
2. التعريف بكتاب نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب وتقديمه للمهتمين بالأدب العربي.
3. الوقوف على ما في الكتاب من جماليات الوصف المكاني الجغرافي وما فيه من بلاغة عالية.

Corresponding Author:

محقق: دكتور نهى محمد جميل الأفغاني  
أستاذة محاضرة في قسم اللغة العربية  
كلية الآداب بجامعة الشهيد الأستاد رباني  
للتربية والتعليم - كابل

### منهج البحث

1. في البداية استفدت من المنهج التاريخي في البحث حول الكتاب، ومؤلفه، وحيثيات تأليفه.
2. الخطوة الثانية تتمثل في تتبع جماليات المكان، ورصدها في الكتاب، والوقوف عليها.
3. كما اعتمدت المقالة على الوصف والتحليل والتأويل، وغيرها من المفاهيم والأدوات الإجرائية البحثية في العلوم الإنسانية.

### خلفية الموضوع

إن موضوع الجماليات الأدبية والوقوف عليها ودراستها في الأدب سواء في الشعر أو في النثر ليس موضوعاً جديداً، وقد ألفت فيه كتب كثيرة وأهمها كتاب غاستون باشلر "جماليات المكان"، وقد كتبت عشرات الكتب ومئات المقالات والأبحاث العلمية حول جماليات المكان في الشعر والنثر العربي، ولكن الجديد في هذه المقالة هو أنها تتناول جماليات المكان عند لسان الدين بن الخطيب في كتاب نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب، ومن الكتب التي تناولت موضوع جماليات المكان كتاب "جماليات المكان في الشعر الجاهلي" للدكتور غسان فلاح أوغلي، وكتاب "جماليات المكان في الرواية العربية" لشاكر النابلسي، وكتاب "جماليات المكان في الشعر العباسي" لحمادة زعيتير، وغيرها من الكتب.

### المكان في الأدب

المكان هو عنصر مهم من عناصر الأدب، وقد ورد ذكر الأماكن وأسماء المدن كثيراً في الأدب العربي، ولا سيما الشعر الذي كان يبدأ بالوقوف على الأطلال، وذكر المحبوبة ورحيلها، وبالتالي يتم ذكر المناطق والمدن التي عاشت بها المحبوبة، والتي رحلت عنها والمناطق التي قضى فيها الشاعر شبابه، ورحل عنها إلى غيرها، فالإنسان العربي الذي كان دائم الترحال والتنقل، والذي لا يستقر في مكان واحد، وإنما ينتقل بحسب الفصول وبحسب توفر الماء والكلاء، كان يرحل عن المناطق ثم بطبيعة الحال يحن إليها، فذلك يكثر ذكر الأماكن في الشعر العربي. وقد شكلت القصائد العربية القديمة مرجعاً جغرافياً مهماً في أسماء الأماكن في الجزيرة العربية.

وفيما بعد ارتبط المكان بأنواع خاصة من الشعر منها الحجازيات، وهي قصائد صوفية قبلت في الحنين إلى الأماكن الحجازية، والشوق إليها والرحلة إلى الأماكن المقدسة، اشتهر بها الشريف الرضي وأصبحت فناً أدبياً قائماً بذاته، ومنها أيضاً العراقيات والنجديات للأبيوردي.

بعد ذلك وفي الفنون النثرية العربية، ارتبط المكان بفن سردي مهم هو المقامات، حيث إن كثيراً من المقامات كان يُذكر فيها اسم المكان صراحةً، بل وأكثر من ذلك يصبح المكان هو جزء من العنوان من مثل المقامة البغدادية.

وفي جميع الأخبار والنصوص الأدبية كان المكان عنصراً مهماً من عناصر هذه الفنون. إلى أن ظهر الفن الأكثر ارتباطاً بالمكان، حتى إنه يمكننا القول إنه أدب المكان بامتياز ألا وهو أدب الرحلات. كيف لا والرحلة هي انتقال من مكان لآخر، وأدب الرحلة هو رصد لهذا الانتقال ولتفاصيله ولمجريته بأسلوب أدبي جمالي بليغ.

وقد اعتنى النقاد والدارسون في العصور المختلفة بالمكان بوصفه جزءاً مهماً من النص الأدبي، وفي العصر الحديث أصبح كتاب

غاستون باشلر (جماليات المكان)<sup>1</sup> من أهم ما كُتب في هذا الموضوع.

### أدب الرحلة

أدب الرحلات أو سفرنامه نوع من الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان. وتعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، والتصوير المباشر، من مشاهداته الحية خلال رحلاته وتنقلاته، مما يجعل قراءتها غنية، ممتعة ومسلية. وأدب الرحلات هو أدب عريق في الحضارة العربية الإسلامية، اشتهر وذاع صيته وكتب فيه الكثير من الرحالة العرب المسلمين، منهم أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبه<sup>2</sup> في كتاب (المسالك والممالك) ، وابن الفقيه الهمداني<sup>3</sup> في (كتاب البلدان) ، واليعقوبي<sup>4</sup> في (البلدان) و ناصر خسرو<sup>5</sup> في (سفرنامه) ، وغيرهم كثير.

وفي المغرب العربي كان أدب الرحلات أكثر شيوعاً وازدهاراً، من أهم أدبائه الإدريسي<sup>6</sup> في كتابيه (نزهة المشتاق في معرفة الأفاق) و(الأقاليم السبعة)، والغرناطي في كتابه<sup>7</sup> (تحفة الألباب

1 غاستون باشلر، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، بغداد.

2 ابن خرداذبة (نحو 205 - نحو 280 هـ = نحو 820 - نحو 893 م) عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه، أبو القاسم: مؤرخ جغرافي، فارسي الأصل. من أهل بغداد. كان جده خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة. واتصل عبيد الله بالمعتمد العباسي، فولاه البريد والخبر بنوحي الجبل، وجعله من ندمائه. له تصانيف، منها "المسالك والممالك - ط" و "جمهرة أنساب الفرس" و "اللهو والملاهي - ط" مختارات منه، و "الشراب" و "الندماء والجلساء" و "أدب السماع". المصدر: خير الدين الزركلي، كتاب الأعلام، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، ص190.

3 ابن الفقيه (... - نحو 340 هـ = ... - نحو 951 م) أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الهمداني، أبو بكر، ابن الفقيه: جغرافي أديب. له كتاب (البلدان) نحو ألف ورقة، و (مختصر كتاب البلدان - ط) صنفه بعد موت المعتضد، وكتاب (ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين). المصدر خير الدين الزركلي، كتاب الأعلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ص208.

4 اليعقوبي (... - بعد 292 هـ = ... - بعد 905 م) أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي.

مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد. كان جده من موالى المنصور العباسي. رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمنيّة. ودخل الهند. وزار الأقطار العربية. وصنف كتاباً جيدة منها (تاريخ اليعقوبي - ط) انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي، وكتاب (البلدان - ط) و (أخبار الأمم السالفة) صغير، و (مشكلة الناس لزمنهم - ط)) رسالة. المصدر: خير الدين الزركلي، كتاب الأعلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ص95.

5 ناصر خسرو، سفرنامه، ترجمة: يحيى الخشاب، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

6 الإدريسي (493 - 560 هـ = 1100 - 1165 م) محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي الحسني الطالبي، أبو عبد الله: مؤرخ، من أكابر العلماء بالجغرافية. من أدارسة المغرب الأقصى. ولد في سبتة ونشأ وتعلم بقرطبة. ورحل رحلة طويلة انتهت بها إلى صقلية، فنزل على صاحبها روجار الثاني (Roger II) ووضع له كتاباً سماه (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق - خ) أكمله سنة 548 هـ، وهو أصح كتاب ألفه العرب في وصف بلاد أوربا وإيطاليا، وكل من كتب عن الغرب من علماء العرب أخذ عنه. المصدر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص24.

7 أبو حامد - محمد بن عبد الرحيم، المازني، القيسي، الغرناطي (1)، ولد سنة 473، ودخل الإسكندرية سنة 508، وسمع بها من أبي عبد الله الرازي، وبمصر من أبي صادق مرشد بن يحيى المدني وأبي الحسن الفراء الموصلي وأبي عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوي وغيرهم، وحدث بدمشق، وسمع أيضاً بها وببغداد، وقدمها سنة 556، ودخل خراسان، وأقام بها مدة، ثم رجع إلى الشام، وأقام بحلب سنين، وسكن دمشق، وكان يذكر أنه رأى عجائب في بلاد شتى، ونسبه بعض الناس بسبب ذلك إلى ما لا يليق، وصنف في ذلك

في ونخبة الإعجاب) وغيرهم كثيرون. وفي زمن لسان الدين بن الخطيب شهد هذا الفن ازدهارا واسعا وبرز أهم الرحالة العرب ومنهم ابن بطوطة<sup>8</sup> لا سيما في كتابه (غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، وظهر كذلك ابن خلدون<sup>9</sup> في (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) وغيرهم.

أما دوافع هذه الرحلات فقد تعددت وتتنوعت، منها ما كان علمياً بحثاً، ومنها ما كان لأسباب سياسية، ومنها ما كان للحج والعمرة وزيارة الأماكن المقدسة، وهناك الرحلات المعاكسة من المشرق إلى المغرب، فقد كانت الرحلة محطة لا بد منها لكل عالم أو أديب أو شاعر، ففي ذلك الوقت كان العلم يُوتى ويُرحل من أجله آلاف الأميال، وكان الشعراء والعلماء والأدباء والمتصوفة يرحلون. فكان أمراً طبيعياً أن يدون هؤلاء رحلاتهم، بتفاصيلها بلغة أدبية ذات رونق وجمال، وصل إلينا الكثير منها.

### رحلة لسان الدين بن الخطيب

شاع أدب الرحلات في عصر ابن الخطيب، وكان من أبرز مبدعيه ابن بطوطة الطنجي<sup>10</sup> (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، وابن خلدون<sup>11</sup> في (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً).

رحل ابن الخطيب إلى المغرب أربع رحلات لأسباب مختلفة، كانت الأولى في العام 752هـ حيث أرسله السلطان أبو الحجاج إلى سلطان المغرب (أبي عنان) للتعزية في والده السلطان أبي الحسن المريني وللتهنئة بتوليته الحكم. والثانية كانت في عام 755هـ حيث أرسل لطلب العون من السلطان لمواجهة ملك قشتالة. والرحلة الثالثة حين قامت الثورة على السلطان محمد الغني بالله عام 760هـ فرحل إلى المغرب، ونزل في ضيافة السلطان أبي سالم المريني، وهي الرحلة التي أسهب في ذكر تفاصيلها في كتابه موضوع البحث وهو (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب). بعد ذلك عاد سلطانه المخلوع إلى حكم مملكة غرناطة فعاد لسان الدين لسابق عهده وزيراً، مما أوغر صدور

كتاباً سماه تحفة الألباب وكان حافظاً عالماً أديباً، وتكلم فيه الحافظ ابن عساكر، وزنه بالكذب، وقال ابن النجار: ما علمته إلا أميناً. (المصدر: نفع الطيب المقرئ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1، ج2، ص231).

<sup>8</sup> ابن بطوطة الطنجي (703 - 779 هـ = 1304 - 1377) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة: رحالة، مؤرخ. ولد ونشأ في طنجة بالمغرب الأقصى. وخرج منها سنة 725 هـ، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر ..... وعاد إلى المغرب الأقصى، فانقطع إلى السلطان أبي عنان (من ملوك بن مرين) فأقام في بلاده. وأملى أخبار رحلته على (محمد بن جزي) الكلبى بمدينة فاس سنة 756 وسماها ( تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) .... واستغرقت رحلته سبعة وعشرين سنة ومات في مراکش. (المصدر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج6، ص235-236).

<sup>9</sup> (ابن خلدون) \* (732 - 808 هـ = 1332 - 1406 م) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي الباحث أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برفوق.... اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر - ط) في سبعة مجلدات، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها. وختم (العبر) بفصل عنوانه (التعريف بابن خلدون) ذكر فيه نسبه وسيرته وما يتصل به من أحداث زمنه. ثم أفرد هذا الفصل، فقبسط فيه، وجعله ذيلاً للعبر، وسماه (التعريف بابن خلدون، مؤلف الكتاب، ورحلته غرباً وشرقاً - ط) (المصدر: خير الدنيا الزركلي، الأعلام، ج3، ص330).

<sup>10</sup> سبقت ترجمته

سبقت ترجمته<sup>11</sup>

حاسديه عليه، فقرر الرحيل ثانية إلى المغرب، ولكن أعداءه لم يتركوه حتى اغتالوه عام 776هـ.<sup>12</sup> من هذه الرحلات الأربع وصلت إلينا تفاصيل رحلته الثالثة في كتاب النفاضة، ولعل تفاصيل الرحلات الأخرى كُتبت في الأجزاء المفقودة من الكتاب، حيث إن الكتاب الذي أشار إلى أنه يقع في أربعة أسفار، لم يصلنا منه سوى السفر الثاني والثالث، بينما فقد الأول، وشكك الكثيرون فيه.

### لسان الدين بن الخطيب (713 - 776 هـ)

هو "محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني، قرطبي الأصل، ثم طليطليته، ثم لوشيته، ثم غرناطيه. يُكنى أبا عبد الله، ويُلقب من الألقاب المشرقية بلسان الدين".<sup>13</sup> وهو من تعريفه لنفسه في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة. ترجم له العديد من معاصريه، منهم المقرئ التلمساني في نفع الطيب، وأنتى عليه قائلاً: "هو الوزير الشهير الكبير، لسان الدين، الطائر الصيت في المغرب والمشرق، المزري عرف الثناء عليه بالعبر والعبير، المثل المضروب في الكتابة والشعر والطب، ومعرفة العلوم على اختلاف أنواعها، ومصنفاته تخبر عن ذلك، ولا ينبئك مثل خبير، علم الرؤساء والأعلام، الوزير الشهير الذي خدمته السيوف والأقلام، وغني بمشهور ذكره عن مسطور التعريف والإعلام، واعترف له بالفضل أصحاب العقول الراجحة والأحلام".<sup>14</sup>

كذلك ترجم له ابن خلدون، في كتابه العبر ووصفه قائلاً " ونشأ محمد (لسان الدين بن الخطيب) بغرناطة، وقرأ وتآدب على مشيختها، واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل، وأخذ عنه العلوم الفلسفية، وبرز في الطب وانتحل الأدب وأخذ عن أشياخه وامتلأ حوض السلطان من نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه وبلغ في الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيهما، وامتنح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر، وملأ الدولة بمدايحه وانتشرت في الأفاق قدماءه، فرقاه السلطان إلى خدمته، وأثبته في ديوان الكتاب".<sup>15</sup> وقد وصفه كل من ترجم له بالذكاء والنباهة في شتى الفنون.

في عصر ابن الخطيب شاعت التقلبات السياسية، وقد اختلف مع ابن الأحمر (الغني بالله) ثم اتصل ببني مرين في المغرب، فكاد له أعداؤه وانتهى قتيلاً عام 776هـ. هو أعظم كتّاب الأندلس وشعرائها، وقد تميز في الشعر والنثر والرسائل والموشحات والأزجال، وأشهر موشحة له هي الشهيرة:

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس

حتى قيل إن لسان الدين كان أبرع كاتب أخرجته الأندلس في عصورها الأخيرة، وقيل عنه إنه كاتب الأرض إلى يوم العرض، وخصص له المقرئ مجلدين من نفع الطيب عرض فيهما عرضاً واسعاً لأساتذته، وحياته السياسية والأدبية.<sup>16</sup> لُقّب بذي الوزارتين: الأدب والسيف، أنهم بالزندقة وسلوك مذاهب الفلسفة

<sup>12</sup> انظر: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، لا يوجد سنة النشر، الجزء الثاني، (المقدمة من ص 3 - 41).

<sup>13</sup> ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973، ص439.

<sup>14</sup> المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المطبعة الميرية، القاهرة، 1862، ج7، ص5.

<sup>15</sup> ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ج7، 1971، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص332.

<sup>16</sup> أنظر: شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، (2004)، ص333، ج1، ط13، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

فُسُجِنَ ثم قتل غدراً في السجن. بلغت مؤلفاته حوالي ستين مؤلفاً بين مطبوع ومخطوط ومفقود، من أشهرها (الإحاطة في أخبار غرناطة)<sup>17</sup> و (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) و (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس) و (تحفة الكتاب ونجعة المنتاب) و (كناسة الدكان بعد انتقال السكان) وغيرها..

### الكتاب : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب

هو في الأصل أربعة أجزاء، وقد حقق الجزء الثاني منه الدكتور مختار العبادي<sup>18</sup> عن نسخة فريدة بالأسكوريال<sup>19</sup>. بينما حققت الجزء الثالث منه الدكتورة السعيدة فاغية، من نسخة موجودة في الخزنة العامة في الرباط، كان يُظن أنها نسخة من اللمحة البدرية لابن الخطيب، ثم اتضح لاحقاً أنه السفر الثالث من كتاب النفاضة، أما السفر الأول والرابع فلا يزالان مفقودين حتى اليوم.<sup>20</sup>

وقد ذكر ابن الخطيب في كتابه (الإحاطة) أن نفاضة الجراب يتألف من أربعة أسفار حيث يقول: "ونفاضة الجراب في علالة الاغتراب موضوع جليل في أربعة أسفار".<sup>21</sup>

وقد أثبت ذلك عدد من المؤرخين القدماء منهم ابن الأحمر أبو الوليد والمقري وغيرهم من المحدثين. ولكن بعض الباحثين تحققت على عدد الأجزاء وذكر أنها ثلاثة لا أربعة. وسبب هذا الاختلاف أن ابن الخطيب قد تناقض مع نفسه، حيث إنه قد أشار في آخر نسخة للكتاب إلى أن الكتاب يقع في ثلاثة أسفار، ولكنه يعود ليقول في الإحاطة "ونفاضة الجراب في أربعة أسفار". وتفسير ذلك التناقض هو أن ابن الخطيب كان ينوي إتمام السفر الرابع حين يسافر إلى الحجاز، إلا أنه لم يتسنى له السفر إلى الحجاز، وبقي حلمه بأداء مناسك الحج حلماً يراوده حتى آخر يوم في عمره.<sup>22</sup>

وقد غطت الأحداث التاريخية التي سجلها في الجزئين اللذين وصلنا الفترة ما بين (760 – 764) هـ ، وقد تم تأليف الكتاب في المغرب، وأنهى الجزء الثالث في غرناطة التي عاد إليها بعد أن استدعاه محمد الخامس.

وقد حاول بعض الباحثين استخلاص الفترة التاريخية التي غطاها الجزء الأول من خلال الجزئين اللذين وصلنا الثاني والثالث، وقد خلصت الدكتورة السعيدة فاغية في مقدمة تحقيقها للجزء الثالث إلى أن الجزء الأول "يتضمن أحداثاً مغربية، وأندلسية، وفصلاً عن بداية رحلته في المغرب، وفصلاً عن وصف عيد المولد النبوي، والقصائد التي أنشدت فيه، وكعادة ابن الخطيب في الجزئين الثاني والثالث فهو بين الحين والآخر يعقد فصلاً يسجل فيه ما صدر عنه من نظم ونثر لذلك العهد قد لا يخلو السفر الأول منه".<sup>23</sup>

بأما الجزء الثاني فقد حققه الدكتور أحمد مختار العبادي، وقد بدأ هذا الجزء بوصف الرحلة التي قام بها ابن الخطيب في ربوع

المغرب الأقصى خلال فترة منفاه، وقد بدأ بصعوده إلى جبل هنتانة، ثم واصل رحلته إلى أغمات، وزار فيها قبر الشاعر المعتمد بن عباد ملك اشبيلية، وأحد ملوك الطوائف الذي نفاه المرابطون بعد أن استولوا على الأندلس، وقد تنقل بعدها في مدن مغربية عديدة، منها سلامارا، ومراكش، وأزمور، وسلا، حيث استقر في ضاحية (شالة).<sup>24</sup>

وقد سجل ابن الخطيب الرسائل والقصائد التي بعث بها إلى سلطان المغرب في ذلك الوقت أبو سالم المريني، وقد أمر السلطان براتب شهري لابن الخطيب قدره خمسمائة دينار. ثم انتقل ابن الخطيب إلى فصل بعنوان: (فصل في إدالة الدولة بالأندلس ثانية) وفيه يصف الفترة المضطربة التي مرت بها مملكة غرناطة ما بين 760 – 763 هـ.

وفي هذه الفترة حدثت العديد من الانقلابات التي كانت أسبابها المؤامرات الداخلية بين الأمراء للوصول إلى الحكم. ثم انتقل ابن الخطيب للحديث عن المحاولات التي قام بها لأجله سلطان المغرب لدى المسؤولين في غرناطة كي يفرجوا عن أمواله المصادرة، وقد أورد كذلك العديد من القصائد في مدح الرسول في أعياد مولده، وهي الأعياد التي شاعت في مدينة سلا، وأورد كذلك قصيدته في رثاء زوجته التي ماتت في مدينة سلا. وأورد العديد من الرسائل منها الرسائل التي وجهها إلى سلطان المغرب (أبو سالم المريني) وإلى رجال الدولة.

ويورد ابن الخطيب سرداً تاريخياً متكاملًا لحياة سلطان المغرب منذ أن كان أميراً مغموراً إلى أن أصبح سلطاناً، ثم عن نهايته ومصرعه سنة 762 هـ . وغير ذلك الكثير من الأخبار الأدبية، كل ذلك بلغة أدبية جمالية، مطعمة بثقافة واسعة، وأطلاع كبير، كيف لا والمؤلف هو أشهر أدباء الأندلس!؛

أما الجزء الثالث وهو الجزء الذي حققته الدكتورة السعيدة فاغية، وقد اشتمل على مخاطبات ابن الخطيب ورسائله إلى الحكام والوزراء ورجال الدولة، ويسجل فيه فترة مهمة من تاريخ المغرب وهو تاريخ الدولة المرينية، حيث بدأ بالعام 763 هـ ويسجل لقاءه بالسلطان، والقصائد التي مُدِح بها السلطان، وفيه أيضاً يصف رحلته إلى مراكش وصفاً دقيقاً واقفاً على كل تفاصيلها، متوقفاً عند كل مدينة يمر بها، ويعرض فيه أيضاً الأحداث السياسية الدامية التي شهدتها المغرب وانقسامها لمملكتين. ولا ينسى أن يعرض لأحداث أندلسية حيث حقق محمد الخامس انتصاراً على ابن عمه أبي سعيد البرميخو. وبعد ذلك يصف رحلة عودته من المغرب إلى غرناطة، ويحوي الكتاب أيضاً بعض القصائد الزجلية لابن الخطيب التي ذكر ابن الخطيب أنه يجري في هذه الأزجال مذهب أبي الحسن الششتري وهو شاعر صوفي أندلسي 668 هـ. وفيه أيضاً وصف احتفال الغني بالله بالمولد النبوي وصفاً دقيقاً، والساعة التي ظهرت لأول مرة في غرناطة، ويورد القصائد التي أُلقيت في هذا الاحتفال.

### أهمية الكتاب

أما عن أهمية الكتاب فقد رأى الكثيرون أنه أهم كتب ابن الخطيب، ورأى غيرهم أنه يأتي في مرحلة تالية لكتاب الإحاطة. وأهميته تنبع من أنه يكشف حقائق تاريخية مجهولة، وهو يؤرخ للدولتين النصرية والمرينية. ومن ناحية جغرافية فهو يورد بالتفصيل أسماء ومواصفات المدن والمناطق الجغرافية في المغرب وغرناطة. إضافة لأهميته الأدبية حيث ضم 2131 بيتاً من الشعر الموزون، منها لابن الخطيب 765 بيتاً، وقد حوى

17 الخطيب، لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1900).

18 لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: أحمد مختار العبادي، ج2، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (لا يوجد سنة النشر).

19 الاسكوريال: متحف مهم يقع في مدريد في إسبانيا، يحوي مكتبة مهمة فيها كتب ومخطوطات قديمة، وأعمال علمية وأدبية لعلماء العرب والمسلمين الأندلسيين.

20 أنظر: النفاضة، ج3، المقدمة، ص 7.

21 الإحاطة، ص 459.

22 أنظر: النفاضة، ج3، المقدمة، ص 8.

23 النفاضة، ج3، المقدمة، ص 15.

24 أنظر: النفاضة، ج2، المقدمة،

قصائده الزجلية التي لم ترد في كتبه الأخرى. والعديد من الرسائل والمخاطبات التي أرسلها أو أرسلت له من غيره من علماء ذلك العصر منهم ابن خلدون وغيره.

### جماليات المكان في النفاضة

المكان عنصر مهم في الأنواع الأدبية السردية وفي كتابه جماليات المكان يعرف باشلر المكان بأنه "

تتأني جماليات المكان في كتاب النفاضة من العين المبصرة للجمال أولاً ومن الوصف باللغة البليغة الناصعة الجميلة ثانياً، كيف لا ومؤلف النفاضة هو أديب وشاعر بشهرة لسان الدين بن الخطيب، الذي كان من القلائل الذين لقبوا بذي الوزارتين وقُصد بهما السيف والقلم.

إن المكان في أدب الرحلات هو مكان حقيقي، وليس مكاناً مختلفاً كما في الفنون السردية الخيالية، مما يعني أن جماليته تتوقف على طريقة وصفه، والخطيب لم يجعل من كتابه مجرد كتاب جغرافيا يزدحم بالمعلومات الجغرافية الجافة، بل إنه كتاب بما فيه من لغة أدبية وترصيع بالشعر، ووصف بالرسائل الأدبية يشكل تحفة فنية لغة وشعراً وجمالاً.

ولكن على كثرة ما في الكتاب من فنيات أدبية جديرة بالتوقف عليها وتناولها، إلا أن هذا البحث ينصب على دراسة جزئية محددة وهي جماليات المكان تحديداً.

من خلال اطلاعي على النفاضة يمكنني تقسيم المكان إلى أقسام رئيسة ثلاثة، هي كما أرى:

1. الطبيعة
2. المنشآت
3. الأضرحة

### الطبيعة

#### 1. جبل هنتانة

كان جبل هنتانة هو أول محطات الوصول حيث نزل في ضيافة رئيس قبيلة هنتانة (عامر الهنتاني) فأعقد عليهم وأكرم نزلهم، وكان من حسن كرمهم أن أخذوا ضيفهم في رحلة أو جولة سياحية - إن جاز التعبير - لمشاهدة معالم الجبل الطبيعية.

يقول: "وفي يوم الاثنين المتصل بيوم القوم، توجهنا إلى الجبل في كنف أصحابه تحت إغراء بره، وفي مركب قرّة عينه، فخرجنا نستقبل بين يديه السهل، ونساير الجهة، ونشاهد الآثار، ونتخطى المعاهد، وننشق النسيم الليليل القريب العهد بمادة الثلج وعنصر البرد، ولما بلغنا درج الجبل، وانتحينا طريقة من السفح، وهي تركيب ضفة الوادي الملتف بعادي شجر الحور والطرفاء وشجر الخلاف والدردار، وأمعنا و كابدنا عنتا في اقتحام الوادي ذي الجرية الكثيرة الصيب، المسوقة المد، العظيمة التيار، المجهولة المخاض، ونقتحم منه أزرق شفافاً عن الحصباء، كثير الجليات، أملس الصفاح، لذاع البرد، عبرناه نحو من ثلاثين مرة في أماكن يتخللها الدوح ويعظم الريح، وتحصر الحرباء، وتسمو عن جانبها الجبال الشم، والشعبات التي تزل بها العصم وتقضي دروبه إلى أقوار فسيحة، وأجواء رحيبية، يكتنفها العمران، ويموج بها السبيل".<sup>25</sup>

والمتمعن في هذا النص من وصف ابن الخطيب لطبيعة جبل هنتانة، يدرك مدى تميز لغته بالجمال واللغة الشعرية التصويرية، ويجد كذلك جماليات التفاصيل المكانية فهو يذكر أنواع الأشجار من حور وطرفاء ودردار، ويفصل في وصف نسيما العليل

القريب العهد بالثلج فهو نسيم بارد عليل، ويفصل في وصف الماء الجاري في قاع الوادي ووصف لونه وتصوير جريانه. وقد بنى كل ذلك بلغة مشحونة بتتابع الأفعال التي تعكس صورة المسير في هذه الدروب الطبيعية الجميلة حتى يخال القارئ أنه قد انتقل إلى ذلك المكان وأنه يسير مع أولئك القوم في رحلتهم، وهي قدرة لغوية سردية لا تتأني لأي كان وإنما اختص بها ابن الخطيب.

### 2. أغمات

ومن ضمن رحلة ابن الخطيب في المدن المغربية نزل بمدينة أغمات التي استمدت شهرتها التاريخية من سجن الملك الشاعر المعتمد بن عباد فيها بعد أن خلع من ملكه وجرّد من أمواله وأملكه، وقد ذكرها في شعره حين جاء العيد وهو في السجن فقيراً معدماً وجاءت بناته يزرنه في أطمارهن البالية فقال:

فيما مضى كنت بالأعياد فجاءك العيد في أغمات مسرورا

تري بناتك في الأطمار جائعة يغرزن للناس ما يملكن قطميرا

ومدينة أغمات تقع جنوب مدينة مراكش على سفوح جبال أطلس، وكانت في ذلك الوقت عبارة عن مدينتين متقابلتين: أغمات إيلان، وأغمات وريكة، والتي قصدها ابن الخطيب هي أغمات وريكة وهي التي فيها قبر المعتمد.

### يقول في وصف طبيعة أغمات:

"ثم أتينا مدينة أغمات في بسيط سهل موطاً لا نشز فيه ينال جميعه السقى الرغد، وتركبه الخلجان وقد تموج به العشب، وعافته الأيدي وغلت أيدي فلاحه الفتنة. وهذه المدينة قد اختطت في الفضاء الأفيح، فبلغت الغاية من رحب الساحة وانفساح القورة، مثلت قصبته منها قبله، وسورها محمر التراب، سجع الجلدة، مندمل الخندق، يخترقها واديان اثنان من ذوب الثلج وسور الجبل، قامت بصفتيها الأرحاء واردة وصادرة، مرفوعة الأسداد، منيعة البناء".<sup>26</sup>

### 3. مراكش

وهي عاصمة المغرب ومن أهم المدن المغربية والتي كانت عاصمة المرابطين والموحدين من قبل، وقد نزل بها ابن الخطيب في رحلته في بلاد المغرب وقد وصف طبيعتها قائلاً:

"وانصرفنا إلى المحل المعين النزول. وهذا البلد فسيح طيب الهواء كريم التربة خصيب الجناب. وأهله أولو خيرية وجنوح إلى الصلاح وهو لبنة التمام للمسورات بالمغرب، ليس وراءها مدينة جامعة، ولا محلة مسورة، ودونه أم تتصل بالسوس الأقصى، إلى تخوم الحبشة من وراء الصحراء".<sup>27</sup>

### 4. فاس

وهي عاصمة بني مرين التي بدأ منها رحلته فوصفها قائلاً:

"خرجنا من أم القرى، ومجمع الورى، وكعبة السير والسرى، مدينة فاس دار الملك الأصيل، والعز المشرف التليل، حيث القصور البيض، والملك الطويل العريض، والأبواب المحروسة، والبساتين المغروسة، والمياه المتدفقة، والجنود المرتزقة، والمباني العظيمة، والرباع المرتفعة عن القيمة، والدين والدنيا، من غير شرط ولا ثنيا، حرسها الله وكلاها، ووفر -وقد فعل-

<sup>26</sup> النفاضة، ج2، ص55.

<sup>27</sup> النفاضة، ج2، ص71.

<sup>25</sup> النفاضة، ج2، ص45 - 46.

ملأها، نلتفت إلى معاهد السادة، وعلق الودادة، ومراقب أولى الإجابة<sup>28</sup>.

يكتفب ابن الخطيب بالوقوف بل قد أنشد على قبره راثياً:

قد زرت قبرك عن طوع بأغامت	رأيت ذلك من أولى المهمات
لم لا أزورك يا أئدى الملوك يداً	ويا سراج الليالي المدلهمات
وأنت مولى تخطى الدهر مصرعه	إلى حياتي أجادت فيه أبياتي
أناف قبرك في هضب يميزه	فتحتيه حفيات التحيات
كرمت حياً وميتاً واشتهرت علا	فأنت سلطان أحياء وأموات
ما ريء مثلك في ماضٍ ومعتقد	أن لا يرى الدهر في حال ولا أت

### الأضرحة

1. السلطان المجاهد أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، المتوفى سنة 749هـ، المدفون في جبل هنتانة، وقف عليه ابن الخطيب ووصفه بشيء من التفصيل، يقول:

"ومن الغد كان التوجه إلى ذلك المحل المبارك، فاقترحنا وعراً نزل فيه الذر، ولا يسلكه مع الحلم اللطيف. وتسنمنا شعاباً تعجز عنها العصم، وتجاوزنا مهاوي مدن فيها أسراط من الخشب، ترتفع عند الضرورة الفادحة، فتقطع عما وراءها الآمال إلى أن أفضينا ولم نكد إلى المحل المقصود وهي دار قوراء نبهية البنية بالنسبة إلى جنسها.. ساذجة بادية ملطخة الجدران بالطين الأحمر، متقابلة الأشكال بيوتها، لاطية السقف غير مهذبة الخشب، بأعلاها غرف من جنسها، يدور بداخلها برطال (مدخل) مستعل على أرجل متخذة من اللين، والحجر ملبس بالطين، والبيت حيث متوفى السلطان مفترش بالحصاء، قد ترك فيه دائرة كالكصعة تباشر الثرى، وتمكن من تربته من يقصد شفاء المرضى وكحل العيون المرهق، إذ كان رحمه الله آخر ملوك العدل نشأة، لم تعرف الخبائث، ولا آثرت الملاذ، مغنياً في بر والديه مصرفاً في انتساح الذكر الحكيم يمني يديه، محافظاً على الصلاة قيوماً عليها بالليل، كثير الصدقة والصوم، مجالساً للعلماء، مستكشفاً أحوال الرعايا، حانياً على الضعفاء، معملاً في سبيل الله بيض الظبا، صابراً على اللأواء، محتسباً في البلوى، مستشعراً شعار التقوى، ألحقه الله بالرفيق الأعلى."

ولا يكتفي ابن الخطيب بوصف الضريح بل يتجاوز به ليصف المغسلة التي غسل عليها جسد السلطان عند موته، فيقول:

"وبإزائه مصراع باب غسلت عليه جثته الزكية، لا تتمالك العين أن تنتثر سلوك دموعها، ولا القلوب أن تأخذ الحسرة بكظمها، لما عض ذلك الملك الحلال (العظيم) من الخطب الذي عوضه من نضرة النعيم، ووجوه الغرانقة (أحد أنواع الطيور) الغر، والتوكؤ على النمارق المصفوفة، والزرابي المبتوثة، في المتبوء الكريم، واستنقال طلعة البدر، واستجفاء هبة النسيم بقنن الجبال الغبر، وسكنى المحل الخشن، ومفارقة الأهل والولد عند فراق الروح للجسد. جعلنا الله من الدنيا على حذر وتوق، وكتبنا ممن قدر قدره، ولم يأمن مكره. فقعنا وقرأنا وأفضنا في الترحم ودعونا<sup>29</sup>."

### 2. ضريح المعتمد بن عباد

وهو ملك اشبيلية في عصر ملوك الطوائف من بني عباد، وكان شاعراً مجيداً ومحباً للأدب اجتمع في بلاطه العديد من أبرز شعراء الأندلس في زمانه، أسره يوسف بن تاشفين وسجنه في سجن أغامت ومات هناك وضريحه فيها.

### وقف ابن الخطيب على قبره وقبر زوجته يقول:

"وزرت بخارجها قبر المعتمد بن عباد، أمير حمص (اشبيلية) وقرطبة والجزيرة وما إلى ذلك الصقع الغربي رحمه الله، وهو بالمقبرة القبلية عن يسار الخارج من البلد، قد توقل (ارتفع) نشراً غير سام وإلى جانبه قبر الحرة حظيته وسكن نفسه اعتماداً إشراكاً لاسمها في حروف لقبه، المنسوبة إلى رميك مولاه<sup>30</sup> ولم

وقد زار غيره من قبور وأضرحة الأعلام والأمراء، وقد انتهى به المطاف إلى مدينة سلا على ساحل المحيط الأطلسي بأقصى المغرب. وهناك استقر في ضاحيتها المعروفة باسم شالة حيث الجبنة الملكية لبني مرين. يقول المقرئ "وفي شالة سلا رابط ابن الخطيب بجوار أضرحة ملوك بني مرين سائلاً لم من المولى عز وجل الرحمة والغفران<sup>31</sup>."

### المنشآت

#### 1. مسجد أغامت

وهو أشهر المساجد التي نزل بها ابن الخطيب بعد زيارته لضريح المعتمد بن عباد، يقول:

"ومسجدها المذكور عتيق عادي كبير الساحة، رحيب الكنف متجدد الألقاب. ومنذنته لا نظير لها في معمور الأرض. أسسها أولوهم مربعة الشكل وما زالوا يبخسون الذرع، ويجحدون العرض، حتى صارت مجسماً كاد يجتمع في زاوية المخروط، وأدير عليه فارز من خشب يطيف ببناء لاط، وقد أطل سامي جامورها فوقه، فقبحت حتى ملحت واستحقت الشهرة والغرابية<sup>32</sup>."

#### 2. مسجد الإمام المهدي

وهو مسجد قديم قد تهدم وتقرت جدرانه، دليل تعاقب الحضارات عليه، والاتعاض بالخراب بعد العمران. يقول:

"وكان الإنصراف بعد أن ألمنا في تلك المحلة بمسجد إمامهم المهدي<sup>33</sup> ودار سكناه، وأثر مدرسته وسجنه، كل ذلك من الخمول واللطو واستهجان الآلة على حال شبيهة بمباني الدبر(النحل) وقرى النمل، وأعشاش الخشاش (الضعاف) من الطير. فعجبنا من مفتاح تلك الدويرة المهتزمة، كيف أخذ على كونه قميء الجلسة، مصاحباً لبعض القشر، برياً من الصنعة بأزمة المنابر المتخذة من الألوة (شجر العود) والصندل المقاصري في لونه، والأبنوس الفيول، وأرعها بعضياها، واستاقها بين يدي طاعته كالذود الشائل والسائمة الواردة ما بين قرطبة واشبيلية وقرطبة وإفريقية والمغرب، سنة الله في إدالة الدول، وتعقيب النحل، ألم تر "أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده<sup>34</sup>."

<sup>31</sup> المقرئ، نفع الطيب، ج8، ص 322.

<sup>32</sup> النفاضة، ج2، ص55.

<sup>33</sup> مهدي الموحدين أبو عبد الله محمد بن تومرت، مؤسس دولة الموحدين

بالمغرب، عام 514هـ (النفاضة، ص49)

<sup>34</sup> النفاضة، ج 2، ص 49 - 50

<sup>28</sup> النفاضة، ج3، ص88

<sup>29</sup> النفاضة، ج3، ص49

<sup>30</sup> السابق، ج2، ص57

### 3. مسجد مراکش

يصف مسجد مراکش قائلاً:

"وصلينا بمسجدها الجامع وهو مبنى عتيق، ومجمع فسح متعدد الزيادات والصحون والتعاريج، سبق ما بين يدي المحراب بعض على أيدي قوم من الصالحين، رفعوا به عمداً تناهز الأربعين، بادية ضخمة خشنة على سبيل من الجفاء والسذاجة يباشرها سقف لا طئ من غير نقش ولا إحكام علتها خشب بالية، وقضب ناخرة، بما يدل على قدم العهد، وينبئ على اجتناب فضول العمل. فلم تمتد إلى تغييرها يد. ودارت بها الزيادة النبيهة والبلاطات من جهاته. ويصحن هذا المسجد جباب للماء ينتابها الناس لسقيهم ووضوئهم فيحسبهم (يكفيهم). ويقابل القبلة من جوفي الصحن زاوية بها فقراء يدعون ذكراً لله، فيعاطون مقام التوكل، فلا يغيب عنهم التقفد."<sup>35</sup>

### 4. المدرسة والمارستان

وفي مراکش مدرسة ومارستان وقد مر بهما ابن الخطيب ووصفهما قائلاً:

"وبهذه البلدة (مراكش) المدرسة والمارستان، وعليها مسحة من قبول الله. وهواؤها أطيب أهوية البلدان، يستدعي الدثار في القيظ ليرده ولطيف مسراه."<sup>36</sup>

الأسلوب بصفة عامة في النفاضة مختلف عن رحلاته الأخرى، فلم يستخدم طابع المقامات من سجع وتقنية بل كان كلاماً مرسلأ جزلاً في غالب الأحيان.<sup>37</sup>

ولكن بصفة عامة فإن أسلوب ابن الخطيب يميل للصنعة اللفظية والمحسنات البيديعية الأمر الذي يتوافق مع ذائقة ذلك العصر.

### النتائج

هدفت هذه المقالة إلى دراسة جماليات المكان في كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب للأديب والشاعر الكبير لسان الدين بن الخطيب، وقد توصلت المقالة إلى ما يلي:

- المكان من أهم عناصر الأدب، لاسيما النثر، وفي الأخص أدب الرحلات الذي يشكل المكان الركيزة الأساسية فيه.
- أدب الرحلات هو أدب عريق في الحضارة العربية الإسلامية، وقد اشتهر كثير من الأدباء العرب المسلمين الذين رحلوا ووصفوا ما رأوه في رحلاتهم في كتب عديدة.
- تعددت دوافع الرحلات فمنها ما كان علمياً ومنها ما كان لأسباب سياسية ومنها ما كان للحج والعمرة وزيارة الأماكن المقدسة وغيرها وقد تناولوها بالتفصيل في كتبهم.
- شكّل المكان ركيزة أساسية في كتاب نفاضة الجراب، وهو يتمثل كل ما رأى في رحلاته الأربعة إلى المغرب.
- نفاضة الجراب في الأصل أربعة أجزاء، تم تحقيق الجزئين الثاني والثالث منه، بينما الجزء الأول والرابع مفقودان حتى الآن.
- إن المكان في كتاب النفاضة وكما هو عادة في أدب الرحلات هو مكان حقيقي وليس مكاناً مختلقاً كما في الفنون السردية الخيالية وبالتالي فجمالياته تتأتى من الوصف البليغ واللغة العالية التي تمتع بها نثر ابن الخطيب.
- ارتبطت جماليات المكان الطبيعي عند لسان الدين بن الخطيب بالطبيعة ووصف معالمها ووصف العمران من

مساجد وحدائق إضافة للجمال التاريخي النابع من المكان التاريخية للأماكن من مثل الأضرحة وبالأخص ضريح المعتمد بن عباد.

### المصادر والمراجع

1. ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ج7، (1971)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
2. الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، (1900)، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.
3. الخطيب، لسان الدين، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: أحمد مختار العبادي، ج2، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، (لايوجد سنة النشر).
4. الزركلي، خير الدين، كتاب الأعلام، (1986)، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت.
5. المقرئ، أحمد بن محمد، نفع الطبيب من غصن الأندلس الرطيب، (1862)، الناشر: المطبعة الميرية، القاهرة
6. باشلر، غاستون، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، (2000) الناشر: دار الجاحظ للنشر، بغداد.
7. ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ج1، ط13، (2004)، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

<sup>35</sup> النفاضة، ج2، ص 72.

<sup>36</sup> النفاضة، ج2، ص72.

<sup>37</sup> المقرئ، ج8، ص 316